مجلة البحث العلمي الإسلامي

مجلة إسلامية علمية محكمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

ISSN: 2708-1796 (ردمد النسخة المطبوعة)

E-ISSN: 2708-180X (ردمد النسخة الإلكترونية)

السنة التاسعة عشرة – العدد 59 – 30-7-2024م

Volume 19th - issue no. 59 - 30/7/2024

Pages: 111 - 136 الصفحات: 111 - 136

التنمية المعنوية في القرآن الكريم وأثرها وتأثيرها في جودة الحياة

Moral development in the Holy Qur'an and its impact and influence on the quality of life

اللجنة العلمية لكرسي الأمير سلطان للدراسات الإسلامية المعاصرة

Scientific Committee of Prince Sultan Chair for Contemporary Islamic Studies

كرسي الأمير سلطان للدراسات الإسلامية المعاصرة

جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الدراسات الإسلامية

Prince Sultan Chair for Contemporary Islamic Studies

King Saud University, College of Education, Department of Islamic Studies

Email: scis.ksu@gmail.com

اعتمادات

إعـــداد:
اللجنة العلمية لكرسي الأمير سلطان للدراسات الإسلامية المعاصرة
كرسي الأمير سلطان للدراسات الإسلامية المعاصرة
جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الدراسات الإسلامية

Preparation:
Scientific Committee of Prince Sultan Chair for Contemporary Islamic Studies
Prince Sultan Chair for Contemporary Islamic Studies
King Saud University, College of Education, Department of Islamic Studies
Email: scis.ksu@gmail.com

التنمية المعنوية في القرآن الكريم وأثرها وتأثيرها في جودة الحياة

Moral development in the Holy Qur'an and its impact and influence on the quality of life

ملخص:

يعد مفهوم التنمية المعنوية أحد أبرز طرائق التنمية الشاملة في كافة مجالات الحياة، وأحد أهـم وسائلها الرئيسة، ولقـد اعتنى القرآن الكريم بشمولية التنميـة وتكاملها في مختلف جوانب الحيـاة، وأنَّ القرآن الكريم تفرّد بالدقَّـة الموضوعية، ووضع الأسس المتكاملة والمبادئ العظيمة التي يقوم عليها تنمية الأفراد والمجتمعات، لتحقيق قيمة الاستخلاف في الأرض، وتحسين جودة حيـاة الإنسان مـن مختلف النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسيـة والبيئية وفق شرائع الله المقـررة، لتحقيق التنمية الشاملة للإنسان من الزوايـا المادية والروحية والخلقية كافة، وغيرها من الأبعاد والآفاق الحياتية للإنسان.

ويهدف هذا البحث إلى إبراز التنمية المعنوية في القرآن الكريم، وأثرها وتأثيرها في تحقيق مفهـوم التّنمية الشّاملة؛ بشقيها المادي والمعنوي، وإثبات النظـرة القرآنية المتكاملة والمتوازنة للكـون والإنسان، وإبـراز مفاهيم التفوق والتقدم فـي المجتمع التي تنسجم مـع العقيدة والأسس الإيمانية والأخلاقية، كأحد أهم دوافع التنمية.

الكلمات المفتاحية: المنظور القرآني- التنمية المعنوية- التنمية الشاملة -جودة الحياة- الأثر والتأثير.

Summary:

The concept of moral development is one of the most prominent methods of comprehensive development in all areas of life, and one of its most important main means. The Holy Qur'an has taken care of the comprehensiveness and integration of development in various aspects of life, and the Holy Qur'an is unique in its objective accuracy and laying the integrated foundations and great principles upon which the development of individuals and societies is based. To achieve the value of succession in the land, and to improve the quality of human life from various economic, social, political and environmental aspects in accordance with God's established laws, to achieve comprehensive development for human beings from all material, spiritual and moral angles, and other dimensions and horizons of human life.

This research aims to highlight the moral development in the Holy Qur'an, and its impact and influence in achieving the concept of comprehensive development. Both the material and moral aspects, proving the integrated and balanced Qur'anic view of the universe and man, and highlighting the concepts of superiority and progress in society that are consistent with the faith and the faith and moral foundations, as one of the most important drivers of development.

Keywords: Quranic perspective - moral development - comprehensive development - quality of life - impact and impact.

مقدمة:

الحمـد لله رب العالمين، والصـلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آلـه وصحبه أجمعين، وبعد:

يعـد مفهوم التنميـة الشاملة فـي كافة مجـالات الحياة أحـد القضايا الرئيسة فـي زماننا المعاصـر، ويتبنـى العالم على مختلـف هوياته مفهوم التنمية الشاملـة، إلا أن المتأمل في القرآن الكريم يلحظ بوضوح أنَّ شمولية التنمية وتكاملها هي أحد أبرز سمات التنمية في القرآن الكريم، وأنَّ القـرآن الكريم في عرضه لمجالات التنمية علـى مختلف أنواعها دقيق كلَّ الدقَّة، واضح غاية الوضـوح فـي وضع الأسس المتكاملـة والمبادئ العظيمة التي يقوم عليهـا المجتمع المسلم، الذي يتميـز بالشموليـة والواقعية، ليس فيـه انفصال بين التكامـل المعنوي والتنميـة المادّية، ويهدف إلـى تحسين حياة الإنسان من مختلف النواحـي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية وفق شرائع الله المقررة، ويحرص على التنمية الشاملة للإنسان من الزوايا المادية والروحية والخلقية كافة، وغيرها من الأبعاد والآفاق الحياتية للإنسان.

وتكمـن المشـكلة فـي: النظرة الأحادية لمفهـوم التنمية الشاملة، وقصرهـا على الجوانب الماديـة، وإغفـال الجوانـب المعنوية وأثرها وتأثيرها فـي تحقيق التنمية الشاملـة وجودة الحياة للأفراد والمجتمعات.

ويهـدف هـذا البحث إلـى: إبراز التنمية المعنويـة في القرآن الكريم، وأثرهـا وتأثيرها في تحقيـق مفهوم التّنميـة الشّاملة؛ بشقيهـا المـادي والمعنوي، وإثبات النظرة القرآنيـة المتكاملة والمتوازنـة للكون والإنسان، وإبراز مفاهيم التفوق والتقدم فـي المجتمع التي تنسجم مع العقيدة والأسس الإيمانية والأخلاقية.

الدراسـات السـابقة: تنوعـت الدراسـات السابقة حـول التنمية بشكل عـام، وارتكزت في مجملها العام على التنميـة المستدامة أو التنمية البشرية، وندرت الدراسات المتعلقة بالدراسات المعنويـة في ضوء القرآن الكريم، ومـا كان منها تناول التعبئة المعنوية خاصة في مجال الجيوش والحروب، ومنها:

أهميـة الحيـاة المعنويـة في المنظـور القرآنـي، د. مهدي جلشنـي، مجلة آفـاق الحضارة الإسلامية، العدد الأوّل لسنة ١٩٩٦م، تناول فيهن البعد المعنوي في الإنسان وخصائصه وإمكاناته للإنسـان، في المنظـور القرآني، بُعدان: مادي ومعنوي. إلا أن ما يصوغ شخصية الإنسان ويمنحه السعادة الأبدية هو بعده المعنوي، واتجاهات النفس الإنسانية وإمكاناتها: في النظرة القرآنية.

التنمية فـي القرآن الكريم، محمد جواد عباس مجلة كلية التربيـة للبنات للعلوم الإنسانية، جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات ٢٠١٠م، وتناول فيه التنمية لجوانب الحياة، وأنّ شمولية التنمية وتكاملها هي أبرز سمة من سمات التنمية في القرآن الكريم.

التعبئـة المعنوية في القرآن الكريم، علام عبد القادر محمود النعنع جامعة النجاح الوطنية كلية الدراسات العليا رسالة ماجستير، ٢٠٠٧م، نظرة شمولية حول التعبئة المعنوية، عناية القرآن الكريـم بهـذا الجانب المهم، أهميـة القوة المعنوية فـي الحياة ومدى حاجتنا لهـا اليوم، ومنهج القرآن الكريم في التعبئة المعنوية.

وتختلـف هذه الدراسة عن الدراسات السابقة في مجمل أهدافها، ومنهج بحثها، حيث تعنى بالجوانب المعنوية في ضوء القرآن الكريم وأثرها وتأثيرها على جودة الحياة.

منهج البحث: يتبع البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي لمفهوم التنمية المعنوية في القرآن الكريم، لبيان أثرها وتأثيرها في تحقيق التنمية الشاملة وجودة الحياة بكافة أبعادها على مستوى الفرد والمجتمع.

وتشمل عناصر البحث:

مقدمة: تشتمل على أهمية البحث وأبرز أهدافه، ومنهج البحث، وأهم عناصره.

المبحث الأول: التنمية الشاملة من منظور القرآن الكريم.

المطلب الأول: التعريف بأبرز المصطلحات.

المطلب الثاني: التنمية الشاملة من المنظور القرآني.

المبحث الثاني: التنمية المعنوية ودورها في تحقيق التنمية الشاملة.

المطلب الأول: التنمية الشاملة من المنظور القرآني.

المطلب الثاني: التنمية المعنوية في ضوء القرآن الكريم.

أولًا: مفهوم التنمية المعنوية وأهميتها.

ثانيًا: النظرة القرآنية للتنمية المعنوية:

ثالثًا: طرائق وأساليب تعزيز التنمية المعنوية في ضوء القرآن الكريم:

خاتمة: وتشمل أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: التنمية الشاملة من منظور القرآن الكريم

إن مفهـوم التنمية يعد أحد المفاهيم التي حظيـت باهتمام بالغ في الآونة الأخيرة سواء في الدراسـات العلمية أو التطبيقات العملية، كونهـا عملية واسعة وشاملة ومستمرة متعددة الجوانب، بهـدف تحسين حياة الإنسان وتطويرها إلـى الأفضل، وإيجاد بيئة أفضل للعيش وممارسة الحياة، لتشمل جميع مناحي الحياة الإنسانية.

وإن كانـت النظريـات المعاصرة تنظر إلى التنمية من خلال النظـرة المادية، فإن الإسلام يجمع في نظرته للتنمية على أنها الحياة الطيبة بشقيها المادي والمعنوي، وهو بذلك يسبق ويفوق مفهـوم التنميـة الشائـع، وما آل إليه وما اختلف فـي مسماها، فهو لا ينظر لصنـع الثروة بقدر ما ينظر إلى صانع تلك الثروة وهو الإنسان.

وإن كانت التنمية بمفهومها الشائع ضرورة ملحة، فإن التنمية المعنوية هي أحد أهم أركانها، اعتنى بها الإسلام كونها تشكل المصدر الأساس لتحقيق تنمية متوازنة، ترتكز على أسس وقواعد مستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة.

المطلب الأول: التعريف بأبرز المصطلحات والعلاقات الارتباطية بينها

(١) التنمية:

أ) التنميـة لغـة: مشتق من (نمـى) بمعنى الزيادة، يقال نمى ينمي نميـا ونماء، زاد وكثر، ومنه نميت النار تنمية إذا ألقيت عليها حطبًا وذكيتها به[١]، و(النمو) يعني أيضًا الزيادة ومنه نما الشـيء نمـوا زاد وكثر، يقال: نما الزرع ونما الولد، ونما المـال[٢]، فالنامي ما يزيد، والنماء يعني أن الشـيء يزيـد حالا بعد حال من نفسـه لا بإضافة إليه. (ولا يقال لمن أصـاب ميراثًا، أو أعطي عطية أنه قد نما ماله، وإنما يقال: نما ماله: إذا زاد في نفسه)[٣]، والنمو ازدياد حجم الجسم بما ينضم إليه ويداخله[٤].

كمـا تعنـي التنمية في اللغة: تبليغ الـكلام على وجه الإفساد والنميمة، يقـال نمَّيت الحديث أنميه تنمية، وإذا خفف الفعل يراد به رفع الحديث على وجه الإصلاح يقال: نميته[٥].

ب) التنمية اصطلاحًا: وإن لم يكن مصطلح التنمية موجوداً بلفظه في المنظور القرآني، إلا أنه وُجد بمترادفات عديدة في كثير من نصوص القرآن والسنة النبوية، وتداوله فقهاء المسلمين، مثـل: (التعميـر) و(العمارة) و(الحياة الطيبة) و(التثمير)، وهو مـا يجمع مفهوم التنمية بشقيه

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٦/٧٢٤.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، مصطفى، إبراهيم، وآخرون، ٢/٩٥٦.

(٣) انظر: الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري، ص ٩٥. الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص ٣٥٣.

(٤) انظر: التعريفات، الجرجاني، ص ١٠٨. التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي، ص ٧١١.

(٥) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٦/٧٢٥.

المادي والمعنوي.

ويطلق مصطلح النماء عند الفقهاء على نفس الشيء الزائد من العين كالزيادة بالتوالد والتناسل والتجارات ونحوها[1]، وإن كان فقهاء المالكية يقسّمون النماء في اصطلاحهم إلى: (ربح، وغلة، وفائدة)، فكل ربح نماء، وكل غلة نماء، وكل فائدة نماء، وليس كل نماء ربحا أو فائدة بالتحديد أو غلة بالتقييد[2].

كما اسْتُعمل مصطلح التنمية عند الفقهاء بمعنى تكثير المال بالتجارة، قال القاضي عبد الوهاب (٤٢٢هـ) في حديثه عن الرُّشد: (... وذلك في الغلام بأن يعرف منه إصلاح ماله وحفظه، وتأتيه لتنميته والتحرز من تبديده وإضاعته)[3]. وقال ابن رشد (٥٩٥هـ) رحمه الله: (... وأما القياس الذي اعتمده الجمهور فهو أن العروض المتخذة للتجارة مال مقصود به التنمية)[4]، وقال النووي (٦٧٦هـ) رحمه الله: (وإنما يعتبر الحول للتمكن من تنمية المال)[5]، وقد جمع هذا المعنى ابن خلدون (٨٠٨هـ) رحمه الله بقوله: (التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء)[6].

وقد يعبر الفقهاء عن لفظ التنمية بلفظ التثمير، يقال: (ثمر ماله نماه، وثمر الله مالك أي كثره، وأثمر الرجل كثر)، ومنه قول الطبري (٣١٠هـ) رحمه الله: (وأصل الزكاة نماء المال، وتثميره وزيادته)[7].

وقد يستعار لفظ التنمية في المجال الأخلاقي، ومنه قول أحمد بن علي الدلجي (٨٣٨هـ) رحمه الله (فوجود المجد والسيادة الكسبية لا تصير دفعة، وإنما تكون بالتدريج والترقي ومكابدة تنميتها)[8]. وصنف ابن الحاج العبدري (٧٣٧هـ) كتابا سماه (المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على كثير من البدع المحدثة والعوائد المنتحلة)[9].

ومما تقدم يتضح أن لفظ التنمية يشمل الجانب المادي، كما يشمل البعد الأخلاقي، وإن كان مدلولها في المفهوم الغربي يلتصق بالجانب المادي، حيث يتم تضخيم الأبعاد الكمية والتركيز

---

(١) انظر: معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، نزيد حماد، ص ٢٧٨.

(٢) انظر: شرح الزرقاني، على مختصر سيدي خليل، البناني، على الزرقاني، ١٤٦/٢.

(٣) انظر: التلقين، القاضي عبد الوهاب، ص ١٢٥.

(٤) انظر: بدية المجتهد، ابن رشد، ١٨٥/١.

(٥) انظر: روضة الطالبين، النووي، ٢٨٢/٢، بدائع الصنائع، للكاساني، ٨٨/٦. والشرح الصغير، للدرديري، ١٨٦/٣. وحاشية الصاوي، ٤٩٥/٣.

(٦) انظر: المقدمة، ابن خلدون، ص: ٣١٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ٢٥٧/١.

(٨) انظر: الفلاكة والمفلوكون، الدّلْجي، ص ٥٩.

(٩) انظر: معجم المؤلفين، محمد رضا كحالة، ٢٨٤/١١.

على مؤشرات اقتصادية تعتبر دالة على حدوث التنمية ولو غيبت الغايات الإنسانية والأخلاقية[١].

ومما يؤكد البعد المعنوي والقيمي للتنمية أنها تشترك مع بعض الألفاظ في هذا المعنى كلفظ الزكاة، وهو مأخوذ من الزكاء وهو النماء، ومنه تزكية القاضي الشهود؛ لأنه ينمي حالهم ويرفعهم من حال الخطأ إلى حال العدالة[٢].

(٢) الجودة: تختلف معاني الجودة ودلالتها حسب مجال البحث، فهناك جودة في الإنتاج أو المنتج، وأخرى في الإدارة، وفي التعليم، وفي السلوك وغيرها، ونعني بها هنا (جودة الحياة).

أ) الجودة لغة: الجَوْدَةُ: مَصْدَرُ الفعل (جادَ)، صِفَةُ الجَيِّد وطَبِيعَتُه، يُقال: جادَ الشَّيْءُ جُودَةً وجَوْدَةً أيْ: صارَ جَيِّدًا، ويُقَال: أَجادَ الرَّجُل إجادَةً: إذا أَتَى بالجَيِّد مِنْ قَوْلٍ أو فِعْلٍ، والتَّجويدُ مِثْلُهُ، وضِدُّها: الرَّداءَة[٣]، وقال ابن منظور (٧١١هـ): الجودة أصلها (جود) والجيد نقيض الرديء، وجاد الشيء جوده، وجوده أي صار جيداً، وأجاد أي أتى بالجيد من القول والفعل[٤]، وأجاد الشيء: صيره جيداً[٥]، وأجاد أتى بالجيد، فالجودة مصدر من لفظ (جاد) مثل الكيفية مصدر من لفظ (كيف) وكيفية الشيء تعني حالته وصفته[٦].

ب) الجودة اصطلاحًا: يَرِد مُصْطلَح (جَوْدَة) في عَدَدٍ مِن كُتُب الفقه وأَبْوابه؛ ومن ذلك: كتاب البيوع، باب: البُيوع المَنْهِيِّ عنها، وباب: خيار العَيْب، وفي باب: السَّلَم، عند الكلام على حُكْم اشْتِراط جَوْدَة المسْلَم فيه. وباب: الحَوالَة، عند الكلام على أحكام اشْتِراط التَّساوي بين الدَّيْنَيْن في الجَوْدَة، وتُطلَق أيضًا ويُراد بها: الزِّيادَةُ والامتيازُ في عَمَلِ الأشياء، مِن خلالِ السَّبْقِ في الاستِجابَةِ لِمُتَطلَّبات العَمِيل مع الضَّبْطِ والإتْقان في العَمَلِ[٧].

وتعرفها المنظمة الدولية للتوحيد القياسي (الأيزو) بأنها: تكامل الملامح والخصائص لمنتج أو خدمة ما بصورة تمكن من تلبية احتياجات ومتطلبات محددة، أو الدرجة التي تشبع الحاجات والتوقعات الظاهرية والضمنية من خلال جملة من الخصائص الرئيسة المحددة مسبقاً[٨].

---

(١) انظر: حوار الحضارات، روجيه غارودي، ترجمة عادل العوا، ص ٤٤.

(٢) انظر: المقدمات الممهدات، ابن رشد، ٢٠١/١.

(٣) انظر: تاج العروس، الزبيدي، ٥٢٦/٧، تهذيب اللغة، للأزهري، ١٠٧/١١، المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ٥٢٩/٧، معجم لغة الفقهاء، قلعجي، ص ١٦٩، المطلع على ألفاظ المقنع، البعلي، ص٢٩٤، مقاييس اللغة، للرازي، ٤٩٣/١، لسان العرب، لابن منظور، ١٣٥/٣.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، ص ٧٢.

(٥) انظر: المعجم الوسيط، مصطفى، إبراهيم، وآخرون، ١٤٥/١، لسان العرب، ابن منظور، ٤١١/٢.

(٦) انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص ٣٥٠.

(٧) انظر: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي، ٢٠٨/٤، روضة الطالبين، النووي، ٢٣١/٤، مطالب أولي النهى، السيوطي، ٢١٢/٣، المطلع على ألفاظ المقنع، البعلي، ص ٢٩٤، معجم لغة الفقهاء، قلعجي، ص ١٦٩.

(٨) انظر: إدارة الجودة الشاملة، محمد عبد الوهاب العزاوي، ص٩.

(٣) مرادفات التنمية في المنظور القرآني:

أ) التزكية: المعنى اللغوي: تدل مادة (زكا) على النمو والزيادة[١]، (وأصل الزكاة: النمو الحاصل عن بركة الله تعالى، ويعتبر ذلك بالأمور الدنيوية والأخروية، وتزكية النفس، أي: تنميتها بالخيرات والبركات، أو لهما جميعا، فإن الخيرين موجودان فيها)[٢]، ويقال زكّى الرجل نفسه تزكيةً أي: مدحها، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ النجم٣٢، قيل: (لا تمدحوها بحسن أعمالها)[٣]، وقد تطلق التزكية على الصلاح، (زكَّا الرجل يزكو؛ إذا صلح وزكيته نسبته إلى الزكاء وهو الصلاح)[٤].

المعنى الاصطلاحي: تعني: تطهير النفس من نزعات الشر والإثم، وتنمية فطرة الخير فيها؛ مما يؤدي إلى استقامتها، وبلوغها درجة الإحسان[٥]، وقيل: تخليص النفس الإنسانية من كل ما يتعلق بها من شوائب، ونواقص، وترسيخ الفضائل والقيم النبيلة والأخلاق السامية فيها، وتوجيهها إلى كل ما فيه الخير والصلاح[٦].

ب) الإنبات: الإنبات لغة: النون والباء والتاء أصلٌ واحدٌ يدل على نماء في مزروع، ثم يستعار، فالنبت معروف، يقال: نبت، وأنبتت الأرض، ونبت الشجر: غرسته، ويقال: إن في بني فلان لنابتة شر، ونبتت لبني فلان نابتة، إذا نشأ لهم نشء صغار من الولد[٧].

وهو: كل ما أنبت الله في الأرض فهو نبتٌ، والنبات فعله، ويجري مجرى اسمه، يقال: أنبت الله النبات إنباتًا، ونحو ذلك قال الفراء: إن النبات اسم يقوم مقام المصدر[٨].

الإنبات اصطلاحًا: لا يختلف المعنى الاصطلاحي للنبات عن معناه اللغوي؛ فالنبات: ما يخرج من الأرض من الناميات؛ سواء كان له ساق كالشجر، أو لم يكن له ساق كالنجم، لكن اختص في التعارف بما لا ساق له؛ بل قد اختص عند العامة بما يأكله الحيوان، وعلى هذا قوله تعالى: وقوله: ﴿وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ آل عمران: ٣٧ [٩]، وقيل: (الحي النامي لا يملك فراق منشئه، ويقال: أنبت الله البقل، أخرجه من الأرض فهو منبوت)[١٠].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ١٨/٣.

(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني، ٣٨١/١.

(٣) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ١٩٠/٤.

(٤) انظر: المصباح المنير، الفيومي، ٢٥٤/١.

(٥) انظر: منهج الإسلام في تزكية النفس، د. أحمد كرزون، ٥/١.

(٦) انظر: مفهوم التزكية وتطبيقاتها في التربية الإسلامية، نايف الشريف، ص ٢١٩.

(٧) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، ٣٧٨/٥.

(٨) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٤٣١٧/٦.

(٩) انظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص٧٨٧.

(١٠) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ٨٩٢/٢.

ج) التكثير لغة: والتَّكاثُرُ: النُّمُوُّ والتّزايُدُ، ويأتي بمعنى التّفاخُرِ والمُغالَبَةِ، وأَصْلُه مِن الكَثْرَةِ، وهي: الزِّيادَةُ، ويُسْتَعْمَلُ التّكاثُرُ بمعنى التّعَدُّد[1].

وفي الاصطلاح: الحِرْصُ على الإكْثارِ مِن مَتاعِ الدُّنْيا ومُنافَسَةُ الغَيْرِ في ذلك، وهي دالة على بعض معنى كلمة التنمية، ومنه قوله تعالى: ﴿واذْكُرُوا إذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ الأعراف ٨٦ [2].

د) السعادة: السعادة لغة: أصل مادة (س ع د) تدل على خير وسرور خلاف النحس، فالسعد: اليمن في الأمر[3]، والسعادة: خلاف الشقاوة، يقال: يوم سعد ويوم نحس، وقد سعد يسعد سعدًا وسعادة فهو سعيد: نقيض شقي، وسَعُد بالضم فهو مسعود، والجمع سعداء[4].

السعادة اصطلاحًا: عرفها الراغب بأنها: معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير[5]، وقال ابن عاشور: والسّعيد: ضدّ الشّقيّ، وهو المتلبّس بالسّعادة الّتي هي الأحوال الحسنة الخيّرة الملائمة للمتّصف بها[6]، وعند علماء التربية: حالة نفسية من مشاعر الراحة والطمأنينة والرضى عن النفس والقناعة بما كتب الله سبحانه وتعالى[7].

هـ) الرضا: الرضا لغة: ضد السخط، وفي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول: (اللّهمّ أعوذ برضاك من سخطك)[8]. وأرضاه: أعطاه ما يرضى به[9].

الرضا اصطلاحًا: سرور القلب بمر القضاء[10]، أو طيب النفس بما يصيبه ويفوته مع عدم التغير[11].

المطلب الثاني: التنمية بين المفهوم المادي والمعنوي:

لما كانت التنمية في مفهومها الشائه تنصب على الجوانب الاقتصادية، وتعني تنمية الإنتاج بالاستفادة من الطبيعة واستثمار الطاقات واستحداث الأساليب والطرائق التي تؤدي إلى ذلك، فإن للتنمية أيضًا أهمية على الصعيد المعنوي والإنساني والاجتماعي، لأن تنمية الإنسان في حقيقتها ترتكز على توفير فرص الرفاهية والعيش الكريم للإنسان، واستثمار طاقاته الإنسانية،

(١) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري، ١٠٢/١٠، مقاييس اللغة، ابن فارس، ١٦٠/٥.
(٢) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ٥٩٦/٥، الفوائد، لابن القيم، ص ٤١.
(٣) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٥٥٧/١.
(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٢١٣/٣.
(٥) انظر: المفردات، للأصفهاني، ص ٤١٠.
(٦) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٦٤/١٢.
(٧) انظر: دليلك الشخصي إلى السعادة والنجاح، إبراهيم القعيد، ص٣٧.
(٨) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، ٥١/٢ برقم ٤٨٦.
(٩) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٣٢٣/١٤.
(١٠) انظر: التعريفات، الجرجاني، ص١٢٥.
(١١) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص٣٦٥.

وهـذا لا ينفصـل عـن التنميـة المعنويـة أو الروحية التـي تسير به نحـو تحقيق التكامـل، لتجمع بيـن الماديـة والمعنوية، وهو ما تعـززه النصوص الدينية فـي كتاب الله تعالـى وسنة نبينا ﷺ، والتشريعات الفقهية في تراثنا الإسلامي، لأن التنمية في حقيقتها (عملية استثمار وتطوير قدرات الأمة وإمكانياتها المادية والإنسانية للوصول إلى مستوى التفوّق والقدرة على قيادة البشرية)[١].

وقـد لوحظ في الآونـة الأخيـرة أن المؤسسات الدولية تحـاول أن تعطي مفهومـاً اجتماعياً للتنمية، ولم تركز على الاقتصاد فقط، ففي تعريف الأمم المتحدة: (إن الغاية النهائية للحكومات مـن التنميـة الاقتصادية هي رفـع الرفاه القومي لـكل السـكان)[٢]، بما يوحي إلـى انبعاث لروح المجتمـع ذاتها، كما يراها موريس غرينيه: أنها (ولادة ثانية للحضارات الكبرى في عصر التقدم التقنـي وعصر حقوق وواجبات الإنسـان العالمية)[٣]، إلا أنه لا يتعرض للجانب المعنوي المحرك للمجتمع والحضارات على اختلافها؛ كأحد مقومات التنمية، وإن كان قد أخذ في مضمونه العناية بالإنسان بعين الاعتبار من حيث تحسين أوضاعه المعيشية، واعتبر ذلك هدفًا نهائيًا من التنمية، وإن كان يشتـرك هـذا في جانب منه من مفهوم التنمية المعنوية للتنميـة، إلا أن المنظور القرآني للتنمية لا يقتصر على الجانب المعيشي والمادي للإنسان بل تتعداه إلى الجانب المعنوي والروحي.

ومـن هذا المنطلق تكون للعقيدة التـي تُبنى عليها حضارة المجتمعات الدور الأكبر في بناء مفهـوم التنمية وتطبيقاتـه، والتنمية من المنظـور القرآني تنطلق من العقيـدة الإسلامية ذاتها، ونبرهـن على ذلك بأن معالجة ظواهر التنمية في المنظور القرآني كما في مفهوم (الزكاة)، وهو لفـظ يعني لغة واصطلاحًا: (الزيادة والنماء الممزوجة بالبركـة والطهارة)، وعلى الرغم من أن ظاهـر الأمـر هو إخراج جزء من المـال، وهو نقص منه مادياً بمعاييـر الاقتصاد، إلا أن المنظور القرآنـي للزكاة هو تنمية وزيـادة حين ينمو بالبركة أو بالأجر الذي يثاب عليه من الله تعالى، وفي المقابـل مفهـوم (الربـا) وهو في حقيقتـه زيادة في المال وفـق المنظور المـادي، إلا أن الجانب الحقيقـي فيه هو المحـق والنقصان، كما قال تعالـى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَيُرْبِـي الصَّدَقاتِ وَاللَّهُ لا يُحِـبُّ كُلَّ كَفّـارٍ أَثِيـمٍ﴾ البقرة ٢٧٦، مع أنـه زيادة في المال ونموله فـي الظاهر، قال ابن كثير (٧٧٤هـ) رحمه الله: (أي: يذهبه، إما بأن يذهبه بالكلية من يد صاحبه، أو يحرمه بركة ماله فلا ينتفع به)[٤]، ويؤكده النبي ﷺ: (إن الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير إلى قِلّ[٥] [٦].

---

(١) انظر: مفاهيم إسلامية، سلسلة دار التوحيد، الكويت، ص ٤٥، التنمية في الإسلام، إبراهيم العسل، ص ١٠.

(٢) انظر: المشاكل الهيكلية للتنمية، سيدي محمد، ص ٩٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٩٦.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ص ٤٧.

(٥) قل: قال ابنُ الأثير: القُلُّ، بالضم: القِلَّة، كالذُّلّ والذِّلَّة، أي إنه وإن كان زيادةً في المال عاجلاً، فإنه يؤول إلى نقص، ١٧١/٣.

(٦) مسند الإمام أحمد، ٢٩٧/٦ برقم ٣٧٥٤، وابن ماجه برقم ٢٢٧٩، والحاكم ٢/ ٣٧ و ٤/ ٣١٧ – ٣١٨، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

مما يؤكد أن مفهوم التنمية في المنظور القرآني أو في الفكر الإسلامي يُعبر عن الزيادة المرتبطة بالطهارة والبركة وأجر الآخرة، وفي نفس الوقت لم يتجاهل (الحياة الطيبة) في الدنيا، بخلاف ما يركز عليه المفهوم المادي الذي يركز على البعد الدنيوي من خلال قياس النمو في المجتمعات بمؤشرات اقتصادية مادية في مجملها، حيث تقاس التنمية في المجتمعات بالإنتاج الكمي والتقنية، بصرف النظر عن الغايات الإنسانية والمعنوية والقيمية.

إنّ مفهوم التنمية المعنوية من المنظور القرآني يعني الحفز والتشجيع وبذل الجهد واستثمار الموارد وفق الضوابط الشرعية في كلّ مجالات الحياة؛ وذلك بهدف الوصول إلى حالة من الكفاية والكفاءة في المجتمع، لأنّ النظرة القرآنية للتنمية هي نظرة شاملة لجميع نواحي الحياة المادية والروحية والخلقية، والإنسان هو محور العملية التنموية، إن هذا التصور لمفهوم التنمية بشقيها المادي والمعنوي هو ما يتميز به المنظور القرآني عن المفاهيم الوضعية التي تركز في الغالب على البعد المادي الدنيوي، من خلال قياس التنمية في المجتمعات بمؤشرات مادية في مجملها.

وللإنسان، في المنظور القرآني، بُعدان: مادي ومعنوي، إلا أن ما يصوغ شخصية الإنسان ويمنحه السعادة الأبدية هو بعده المعنوي، ومتى كان البُعد المادي في خدمة البُعد المعنوي، أمكن تحقيق تنمية جميع الإمكانات البناءة في الإنسان، وكبح جميع الإمكانات الهدّامة الكامنة فيه.

وتكمن أفضلية البُعد المعنوي في التنمية في أنّ للإنسان خصائصه المادية والمعنوية، وأنّ الجانب الأهم فيه هو النفس الإنسانية، وأن التقدم الإنساني في معظمه، يعود إلى خصائصه الروحية التي تمييز بين الحق والباطل، والجيِّد والرديء، (وأنّه المحور الأساس الذي ترتكز عليه جميع البحوث والنشاطات وتدور حوله، بل يعدّ الجامع لمسائله والباحث عن شؤونه، كما يتجلى الموقف وضوحاً حين نجد أن غرض وغاية التنمية هي المحاولة الجادة لردم الهوة وتقليل الفارق بين ما هو كائن للإنسان وما ينبغي أن يكون له، على الصعيد النفسي والعقلي والبدني، بما يؤهله للارتقاء بنفسه، كونه محورا ووسيلة وهدفاً لموضوع التنمية)[1].

(١) انظر: التنمية البشرية في القرآن الكريم، دراسة موضوعية، طلال الكمالي، ص١٥٧. بتصرف.

المبحث الثاني: التنمية المعنوية ودورها في تحقيق التنمية الشاملة

المطلب الأول: التنمية الشاملة من المنظور القرآني:

للتنميــة الشاملة في الإسلام منظومــة متكاملة مترابطة، حيث تشمــل تنمية داخل الإنسان وخارجــه، كما تشمل التنميــة الفكرية والعلميــة والتقنية والسياسيــة والتشريعيــة، بالإضافة إلى التنميــة الاقتصادية والإدارية، من خلال الدراسات المعاصرة التي تزاوج بين القضايا المعاصرة والشريعــة الإسلامية، لمعالجة القضايا والتقعيد لها، استنــاداً لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبويــة الشريفــة، وتوضيــح ارتباطها بغاية وجود الإنســان من عبادة الله تعالــى وإعمار الأرض، لتحقيق التقدم والازدهار الحضاري في مختلف مجالات الحياة.

وإن كانــت التنميــة بمفهومهــا الشامل تضــع أولوياتها في تلبيــة احتياجات المــرء، وكل ما يتصــل بتحسين نوعية حياته الماديــة والمعنوية والاجتماعية، وتوفير أسبــاب الرفاهية والصحة والاستقرار، وإن كانت العناصر الرئيسة التي تقوم عليها عملية التنمية الشاملة في ظاهرها ترتكز علــى (الاقتصاد والمجتمع والبيئة)، إلا أن الحقيقــة الغائبة تكمن في غياب العنصر المعنوي في الجانــب التنموي، رغم ما يمثله من أهمية بالغة فــي إنجاح أهداف التنمية، وهي عناصر مرتبطة ببعضهــا فــي نسيج متشابك، إذ يقوم كل منهــا على الآخر ويكمله، ولا مناصــ من ضرورة تحقيق التوافق والانسجام بينها لإنجاح عملية التنمية الشاملة.

وعلى الرغم من تنوع مفهوم التنمية الشاملة إلا أنه ليس بجديد على الإسلام والمسلمين، فقد ذخــر القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالعديــد من النصوص التي تمثل الركائز الأساسية للتنميــة، وتضع الضوابط التي تحكــم علاقة الإنسان بها في جوانبها المادية والمعنوية، وهي أكثر شمولاً، فالنظرة القرآنية الشاملة للتنمية توجب ألا تتم هذه التنمية بمعزل عن الضوابط الشرعية والأخلاقيــة، وفي الوقت نفسه فإن هذه النظرة تعنى بالنواحي المادية جنباً إلى جنب مع النواحي المعنويــة والروحية والخلقية، فلا تقتصر التنمية علــى الأنشطة المرتبطة بالحياة الدنيا وحدها، وإنما تمتد إلى الحياة الآخرة، بشكل يضمن تحقيق التوافق بين الحياتين، ويجعل صلاحية الأولى جسر عبور إلى النعيم في الحياة الآخرة.

إن غايــات التنمية فــي المنظور القرآني تتجه نحو تحقيق العبــادة لله وحده، بتعمير الأرض بمنهجــه وتحقيــق الحياة الطيبــة للبشر في الدنيا من خــلال حفظ المقاصــد الخمسة، (الدين، والنفســ، والعقــل، والنسل، والمال) والسعي للفــوز بالجنة في الآخرة، من خــلال الإيمان والعمل الصالــح، قــال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَــا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ الأعراف ٩٦، وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَــى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ النحل ٩٧، أي: (فلَنُحيِيَنَّــه في الدُّنيــا حياةً سَعيدةً، وذلك بما يجده من حلاوةِ الإيمــان، والأنسِ بالله تعالى،

والتلذذ بعبادته، وطُمأنينة قَلبه، وسُكونِ نَفسه، وبما يَرزُقُه اللهُ من الرزقِ الحلالِ الطيبِ من حيثُ لا يحتَسِبُ، معَ القناعةِ به)[1].

وقال ابن عاشور (١٣٩٣هـ) رحمه الله: (وهذا مقامٌ دَقيقٌ تتفاوَتُ فيه الأحوالُ على تفاوُتِ سرائِرِ النُّفوسِ، ويعطي اللهُ فيه عبادَه المُؤمنينَ على مراتبِ همَمهم وآمالهم)[2].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ﴾ المائدة ٦٦، وقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الروم ٤١، فقرن القرآن بين الإيمان والعمل الصالح والاستقامة وبين إغداق النعم وحياة الرفاهية وجزيل الجزاء، كما ربط بين التكذيب والعمل السيئ بظهور الفساد في الأرض وسوء الجزاء.

إن هدف التنمية من المنظور القرآني تسخير العملية التنموية بكل أبعادها، وبكل فعالياتها في إرساء مبدأ التقوى بأبعادها الإنسانية الداخلية والخارجية لتكون قاعدة الانطلاق في البناء التنموي، فمسلك التقوى أساس ضروري لتنمية أخلاقية تهدف إلى تكوين الإنسان السوي الذي يشكل مجتمع سوي، بالتوازي مع مختلف أنواع التنمية المادية[3].

إن مفهوم التنمية في المنظور القرآني مفهوم شامل يقوم على بعدين أساسيين:

أولاً: البعد المعنوي: ويعنى بالتنمية الذاتية، من خلال التربية الدينية والروحية والخلقية والقيمية التي هي جوهر الإسلام، فالتنمية المعنوية للنفوس أساس ينبني عليه كل أنواع التنمية، ويؤسس لحضارة إنسانية تجمع بين ركني التنمية، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ الروم ٩، فإذا أهمل هذا البعد في عمليات التنمية فالانهيار الحضاري هو النتيجة الحتمية، وما تفشي الجريمة وتفكك الأسرة والانحلال الخلقي ومختلف الأمراض والاضطرابات النفسية عند مدعي التنمية المادية وحدها إلا دليل كافي على الانهيار الحضاري.

ثانياً: البعد المادي: وهو استثمار الإمكانات المادية بما يكفل الحياة الطيبة للإنسان؛ والتي هي وسط بين العوز والترف بما يوافق مبدأ الأمانة التي حملها، وتحقيق حد الكفاية لأفراد المجتمع من مختلف أنواع التنمية، كونها مقصداً شرعياً، ليجمع بين القواعد الرئيسة، وهي: (العبادة، والاستخلاف، والإعمار) وما بينهما من تلازم وترابط، من خلال ما أودع الله تعالى

(١) انظر: تفسير ابن جرير، الطبري، ١٤/٣٥٠، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/٦٠١.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٤/٢٧٣.

(٣) انظر: أبعاد التنمية المستدامة في المنظور القرآني، فطيمة سبقاق، شبكة الألوكة، https://www.alukah.net/culture ٢٠١٨/٣م

فـي الإنسان مـن قدرة عقلية وجسديـة تجعله قادرًا علـى استثمار الثـروات والإمكانات المتاحة، وبالوسائل التي يتمكن بها من تحقيق مقاصدها في الدين والدنيا معًا.

إنَّ التنميـة فـي ضوء القـرآن الكريم جـزء لا يتجزأ مـن العقيدة، تحكمهـا منظومة القيم الحضاريـة، لتشمـل تنميـة الإنسان في ذاتـه روحاً وفكـراً، بالإضافة إلى تنميـة البيئة الخارجية المحيطـة به في مختلـف نواحي الحياة، في بعديها لتنمية الإنسـان وبنائه، وإعمار الأرض وتنمية ثرواتها، وفق المنهج الرباني الحكيم وضوابط شرعه بما يضمن طيب الحياة في الدارين[1].

المطلب الثاني: التنمية المعنوية في ضوء القرآن الكريم:

اهتمّ كثيـر من الباحثين بالدراسات والنظريات المتعلقة بجوانب التنمية بشقها المادي في مختلف المجالات، إلا أن الجانب الأهم من جوانب التنمية لم يلق نصيبًا من الاهتمام فيما اطلعنا عليـه إلا من خلال النظريات النفسيـة والتربوية؛ بهدف التعرف على العوامل المؤثرة في السلوك والمعروفـة بدراسة الدوافـع، بالرغم من الاختلافـات الجوهرية بينهما في تحديـد تلك الدوافع والعوامـل المؤثرة فيها، كالنظريـات السلوكية، أو النظريات المعرفيـة، وإن المتأمل في المصدر الرئيـس للتنميـة وهو القرآن الكريم نجد أنـه رسم دستورًا ومنهجًا متوازنًـا للتنمية بكل أنواعها، وإحداث التوازن النفسي والانفعالي والمادي، فلا تطغى المطالب المعنوية على المطالب المادية، خلافًـا للنظريات الفلسفيـة التي أنتجت تناقضًا متطرفًـا بين الإفراط والتفريـط، إلا أن القرآن الكريم يقف موقفًا وسطيًا فريدًا من أنواع التنمية بشتى صورها.

أولًا: مفهوم التنمية المعنوية وأهميتها:

لقـد كـرّم الله تعالى الإنسان، وأودع فيـه الفطرة لحفظ حياته وبقاء نوعـه، كما جبله على السعـي والاكتساب لتحقيـق أمنه وسعادته، ليقـوم بنشاطٍ توافقي لتحقيق ذاتـه ووجوده وإحداث التوافق بين حاجته المادية والمعنوية.

وإن كان علماء النفس يذهبون إلى أن التنمية المعنوية تحركها الدوافع سواء كانت شعورية، أو لا شعورية، وسواء كانت فطرية أو مكتسبة[2]، وأنها القوى المحرّكة التي تبعث وتولّد النشاط في الإنسـان؛ وتبدأ بالسلوك وتحرّكه ثم توجّهـه نحو تحقيق هدف معين، وتعمل أيضًا على المحافظة على استمراريته حتى يتحقق ذلك الهدف؛ واستثارة الحركة والنشاط[3].

إلا أن التنميـة المعنوية في حقيقتها (القوى المحرّكة التي تبعث النشاط في الإنسان، وتبدأ بالسلـوك، وتوجهـه نحو هـدف أو أهداف معينة، وهي تـؤدي وظائف ضرورية مهمـة، حيث تدفع الإنسـان للقيام بإشباع حاجاتـه الأساسية الضرورية لحياته وبقائه، كمـا تدفعه إلى القيام بكثير

(١) انظر: التنمية من منظور إسلامي، فتح الرحمن عبد الله الصافي، ص ١٤. بتصرف.

(٢) انظر: أسس علم النفس التربوي، لمحيي الدين توق، وعبد الرحمن عدس، ص ٢٠٧.

(٣) انظر: دوافع السلوك في سويتها وانحرافها، لأحمد أبو شنب، ص ١٠.

من الأفعال الأخرى المهمة المفيدة له في توافقه)[1].

إن التنمية المعنوية في ضوء القرآن أحد أبرز أوجه الدعم الرئيسة لتحقيق المزيد من الإنتاجية وتحقيق جودة الحياة، وتعزيز الثقة بالنفس والإيمان بالقدرة على تحقيق الأهداف، وتعزيز الشعور بالرضا، وإنجاز المهام، كأحد أهم العوامل الداخلية الأكثر فعالية بالمقارنة مع الدوافع الخارجية كالمكافآت المادية والعقوبات، التي غالبًا ما تكون مؤقته يتلاشى أثرها سريعاً.

كما تعد التنمية المعنوية أحد أهم العوامل التي تسهم في تحسين جودة الحياة، من خلال الإيمان بالله والتقرب إليه، والعلم والتعلم، والتطور الذاتي، والتفكير الإيجابي والتحلي بالصبر والمثابرة، وتعزيز الثقة بالنفس والعمل على تحسين الذات، وتحمل المسؤولية والتزام الواجبات المنوطة به، وإدراك القيمة الحقيقية للحياة والتركيز على الأمور الجوهرية والمهمة، والاستمرار في العمل الصالح والعطاء للآخرين.

والحياة المعنوية، في المنظور الإسلامي، هي تلك الحياة التي يكيف فيها المرء نفسه مع الأمر الإلهي بهدف القرب منه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأنعام ١٦٢، لأنّ من العوامل التي تحول دون تكامل الإنسان معنويًا وتلوّث روحه، هو الانقياد للهوى والتعلق بجوانب الحياة المادية: كما قال تعالى: ﴿وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ص ٢٦.

والقرآن الكريم يجمع بين الجانبين المعنوي والمادي، ويجري بينهما توازنا محكمًا، فيقول الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ القصص ٧٧، قال ابن كثير (٧٧٤هـ) رحمه الله (أي: اسْتَعْمِلْ مَا وَهَبَكَ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ الْجَزِيلِ وَالنِّعْمَةِ الطَّائِلَةِ، فِي طَاعَةِ رَبِّكَ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الْقُرُبَاتِ، الَّتِي يَحْصُلُ لَكَ بِهَا الثَّوَابُ فِي الدار الآخر، ﴿وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أَيْ: (مِمَّا أَبَاحَ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَسَاكِنِ وَالْمَنَاكِحِ، فَإِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حَقًّا، وَلِزَوْرِك عَلَيْكَ حَقًّا، فَآتِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ)[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ الكهف ٣٠، قال ابن كثير (٧٧٤هـ) رحمه الله: (اثنى بذكر السعداء، الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين فيما جاءوا به، ويعملوا بما أمروهم به من الأعمال الصالحة، فلهم جنات عدن، والعدن: الإقامة)[3]، حيث اشتمل الأجر سائر المزايا التي يمنحها الله لعباده الصالحين سواء أكانت مادية أو معنوية، كما يمنح الله تعالى الحوافز المعنوية للعاملين في صورتها الإيجابية (الثواب)

(١) انظر: التوجيه والإرشاد النفسي من القرآن الكريم والسنة النبوية، لمسفر الزهراني، ص ٧٧.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، (ابن كثير)، ص ٣٩٤.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٣٩٧.

والسلبيــة (العقاب) فقــال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَــالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَمَن يَعْمَــلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ الزلزلة ٧،٨، ويقول تعال ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَــا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُــونَ﴾ الأنعام١٦٠، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ) رحمــه الله: جاءت (بصيغة الحَصْرِ لأجْلِ ما في صيغَتِه من تَقْديم جانبِ النَّفْي، اهْتمامًا به، لإظْهارِ العَدْلِ الإلَهيِّ)[1].

وإن مــن أبرز المقومــات المعنوية وتأثيرها الإيجابي الكبير علــى الأفراد والمجتمعات ذلك الثنــاء على السلوكيات النافعة لتعزيزها، وتقدير الإنجــازات المتتالية للأفراد والمجتمعات، وفي سيــاق الحديث عن التنميــة الذاتية في القرآن الكريم، نجد الكثير من الآيات القرآنية التي تشجع على تنمية الذات وتطويرها، والحث على العمل الجاد والاجتهاد في سبيل تحقيق الأهداف وجودة الحياة، قال تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ سـورة البقــرة ١٥٩، دعوة للاستمــرار في العمل وعدم الانهــزام أمام الصعــاب والتحديات، قال تعالــى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَــدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَــا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِيــنَ﴾ سورة العنكبوت ٦٩، وقــال تعالى: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ سورة يوسف ٨٧. وفيــه: (بحسَــبِ إيمانِ العبدِ يَكونُ رَجــاؤُهُ لرَحمةِ اللَّهِ ورَوْحِه)[2]، وفيــه دعوة لعدم اليأس والتشاؤم، والثقة في رحمة الله وعونه.

ثانيًا: النظرة القرآنية للتنمية المعنوية:

إن التنميــة المعنوية منهج ربَّانــي، أشارت إليه العديد من آيات القــرآن، مفادها رفع الروح المعنويــة والحــث على بــذل الخير والعمــل، وتحذيرهم من الشــرِّ والفشل؛ ومنه قولــه تعالى: ﴿مَــنْ عَمِلَ صَالِحًا مِــنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَــةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُــوا يَعْمَلُونَ﴾ النحل: ٩٧، وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِــنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَــاةً طَيِّبَــةً﴾، قيل: هي حياةُ الجَنَّة، وقيل: في الدُّنيــا بالقناعة، أو الرِّزق الحلال، وقال ابن كثير (٧٧٤هــ) رحمه الله: (والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت)[3]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ الكهف ٣٠، أي: (إنَّا لا نُضيعُ جَزاءَهــم؛ لأنَّهــم أحسَنوا عَمَلَهم، ولا نُضيعُ جَزاءَ كُلِّ مَن أحسَــنَ عملَه كذلك، فجعَلَه خالصًا لله، واتَّبــع فيه شَرْعَه على هَدْيِ رَسوله[4]، والأجر ها هنا يشمل مُجْمل المزايا التي يَمْنحها الله لعباده الصالحيــن، ســواء أكانت مادِّية أو معنوية، ويقول تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَــلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَــلْ مِثْقَــالَ ذَرَّةٍ شَــرًّا يَــرَهُ﴾ الزلزلــة ٧ – ٨، يمنح الله الحوافــز لعباده في صورتهــا الإيجابيَّة

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، تفسير سورة الأنعام، ص ١٦٠.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تفسير السعدي، ص ٤٠٤.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ص ٢٧٨.

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٢٥٤/١٥، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٥٦/٥، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص ٤٧٦، أضواء البيان، للشنقيطي، ٢٧١/٣.

بالثـواب، وفي صورتها السلبيــة بالعقاب، كما اهتمَّ القرآن الكريم بالمكافـأة على العمل الصالح والعمــل المثمر، ومنه قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْــرُ أَمْثَالِهَا﴾ الأنعام ١٦٠، المكافأةُ على عمل واحد إيجابيّ بعشر أمثاله، وهذا تعزيز ودعم معنوي، ودافع مستمر في عمل الصالحات.

إن ممــا تفرّدت به النظــرة القرآنية للتنميــة المعنوية أنها تراعي طبيعــة الإنسان البشرية، وتؤكد سموها، ولا تكبت شيئًا من نوازعها الفطرية، وفي نفس الوقت لا تطلق العنان لذاتها، وتحد مــن تنازع المؤثرات الحاجية للنفس البشريــة، وإحداث التوازن بين أهداف الحياة التي لا تتحقق بغيــر الاستجابة لنوازع النفس، قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ الحديد ٢٧، ومنــه قول النبي صلى الله عليــه وسلم لعثمان بن مظعون: (إِنَّ الرَّهْبَانِيَّةَ لَــمْ تُكْتَبْ عَلَيْنَا)[١]، لأن الرهبانيــة تمثـل نوعًا مــن الغلو في السلوك، والإســلام قام على التــوازن والوسطية في كل شيء، وجمــع بين التنمية الروحيــة والمادية، وبين الدنيــا والآخرة، وبين حق الرب وحــظ النفس، وبين المثالية والواقعية.

إن التنميــة المعنوية في ضوء الإسلام هي التــي يكتسبها الفرد المسلم من خلال تفاعله مع تعاليــم دينــه امتثالاً لأمــر الله، ولأن الله تعالى أمــر بتلبيتها[٢]، أو ما يعبر عنهــا حديثًا بالضبط الذاتــي، كونهــا تستند إلى عوامل داخلية عضوية جسمية إلــى جانب عوامل نفسية ذاتية، وهذا ما يجعل الضبط الذاتي عملية صحية في تكامل الفرد ونموه السوي السليم، لتكون أكثر يسرًا وسهولة في نمو النفس لأنها تمسُّ الدوافع ذاتها قوة ودرجة واتجاهًا وهدفًا[٣].

قــال تعالى: ﴿يَــا أَيُّهَا الَّذِيــنَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّــلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَــوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْــعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُــونَ﴾ الجمعة ٩، فقد تضمنت هاتين الآيتين منهج دقيق في الموازنة التنموية؛ فوازنت بين التنمية الحسية والمعنوية والدنيوية والأخروية، بين تنمية الفكر والــروح من جهة؛ والتنمية العمرانية من جهــة أخرى، لتحقيق التوازن الروحي الذي يمنح صاحبه السعــادة والرضى مما ينتــج عن ذلك حسن التوفيق بين الحياتين بمــا لا يُخل بإحداهما، وكذلك موازنــة دقيقة بين وسائل وأساليب هاتين التنميتين، (السعــي) و(الانتشار والابتغاء)، دلالة على تنــوع الوسائــل التي ينبغــي استخدامها عند الإقبال علــى كلا التنميتين لئلّا تبغــي إحداهما على الأخرى، والأمر في (اسعوا، انتشروا، ابتغوا) فيه ثمة فرق واضح بين معانيها ودلالتها..

(١) مسند أحمد بن حنبل، ٨٢/٣، ٧١/٣٤ برقم ٢٥٨٩٤، وقال المحقق: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) انظر: الدافعية النفسية في العقيدة الإسلامية، لمروان القيسي، مجلة جامعة الملك سعود، ص ٩٥.

(٣) انظر: لمحات نفسية في القرآن، لعبد الحميد الهاشمي، مجلة دعوة الحق العدد ١١، ١٤٠٢هـ، ص ١١٦.

ثالثًا: طرائق وأساليب تعزيز التنمية المعنوية في ضوء القرآن الكريم:

لقد نوّع الإسلام في طرائق وأساليب تعزيز التنمية المعنوية، مراعيًا أصناف الناس، وخصائصهم النفسية والفكرية[1]، وهذه الوسائل نابعة من روح الشريعة الإسلامية، ومنهجها الذي يأمر بتحري الحلال، والإشباع المتوسط، وعدم الإسراف، والحرص على إخلاص النية حتى لا تتحول الوسائل إلى غايات، وحتى تبقى هذه الدوافع موجهة لخدمة المقصد الكبير من خلق الإنسان[2]، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

تدريب النفوس على الصبر وتهذيب الانفعالات:

أودع الله تعالى في النفس الإنسانية الاستعداد الفطري لاكتساب الفضائل، ومن ذلك: ترويض النفس على التزكية ومخالفة الهوى بالتدريب والتمرس، فالممارسة والتطبيق العملي أحد أبرز اكتساب النفس العادة مع مرور الوقت، حتى تصبح أمرًا محببًا، ثم تتطور لتصبح سجية ثابتة دون مشقة أو معارضة أو تنازع الرغبات[3]، ويمدح القرآن هذا في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ فصلت: ٣٥، يقول ابن عاشور (١٣٩٣هـ) رحمه الله: (وهذا تحريض على الارتياض بهذه الخصلة، بإظهار احتياجها إلى قوة عزم، وشدة مراس للصبر على ترك هوى النفس في حب الانتقام)[4]، ومنه قول النبي ﷺ: (إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلُّم، ومن يتحرَّ الخير يعطه، ومن يتقِ الشر يُوقه)[5]، وقوله ﷺ: (من يستعفف يعفُّه الله، ومن يستغن يغنِه الله، ومن يتصبّر يصبِّره الله)[6].

كما كانت التنمية المعنوي حاضرة في كثير من المواقف للشد من أزر المسلمين، ورفع معنوياتهم، من خلال ضرب الأمثلة والقصص لهم من الأمم السّابقة، وأنبيائها، وكيف لاقوا مِنْ قومهم الأذى والعذاب؛ ليصبروا، ويستخفُّوا بما يلاقون، وأيضاً بمدح بعض تصرُّفاتهم، ثمّ بوعدهم بالثّواب، والنّعيم المقيم في الجنّة، وكذلك بالتّنديد بأعدائهم الّذين كانوا يذيقونهم الألم والأذى[7].

القدوات والانصهار في البيئات الصالحة:

إذ تعد القدوات والبيئات الصالحة أحد الطرائق التي حث عليها القرآن الكريم لتنمية

(١) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن حبنكة الميداني، ص ٢٠٧، بتصرف يسير.

(٢) انظر: دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، لمحمد عز الدين توفيق، ص ٤٣٦.

(٣) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن حبنكة الميداني، ص ٢٠٩، بتصرف شديد.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٩٤/٢٤.

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط، ١١٨/٣ برقم ٢٦٦٣، وأورده الألباني، في الصحيحة برقم ٣٤٢، وقال: إسناده حسن أو قريب منه.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، بَابُ الاسْتِعْفَافِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ، ١٢٢/٢ برقم .

(٧) انظر: الحرب النّفسيّة ضدّ الإسلام، عبد الوهاب كحيل، ص ٢٦٩.

الدوافع المعنوية، لاستحسان ما تستحسنه، واستقباح ما تستقبحه والنفور منه، والحد من تنازع الرغبات المجتمعية، وبهذا جاء التوجيه الرباني في قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ الكهف: ٢٨، قال ابن كثير (٧٧٤هـ) رحمه الله: (اجلس مع الذين يذكرون الله، ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه، ويسألونه بكرة وعشيًا، من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء، أو أقوياء أو ضعفاء،.. وقوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ أي شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ أي أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع، ولا تكن مطيعًا ولا محبًا لطريقته، ولا تغبطه بما هو فيه)[1]، ويقول الإمام الغزالي (٥٠٥هـ) رحمه الله: (أما الفاسق المصرّ على الفسق فلا فائدة في صحبته،... ومشاهدة الفسق والفساق تهوّن أمر المعصية على القلب، وتبطل نفرة القلب عنها)[2].

ج) الجمع بين الترغيب والترهيب:

إن تنمية محوري الطمع بالإثابة والخوف له أثر فاعل وقوي في تنمية روحية وسلوكية، لما أودعه الله تعالى في الإنسان من الرغبة والرهبة، وما له من أثر في التحفيز والتحريك الداخلي للنفس الإنسانية للإقبال على كل ما يجلب الإكرام والمكافأة، والابتعاد عما يسبب العقاب، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النحل: ٩٧، قال ابن عاشور رحمه الله: (وهذا وعد بخيرات الدنيا. وأعظمها الرضى بما قسم لهم وحسن أملهم بالعاقبة والصحّة والعافية وعزّة الإسلام في نفوسهم. وهذا مقام دقيق تتفاوت فيه الأحوال على تفاوت سرائر النفوس، ويعطي الله فيه عبادهُ المؤمنين على مراتب هممهم وآمالهم. ومن راقب نفسه رأى شواهد هذا)[3].

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ طه: ١٢٣-١٢٦، قال ابن كثير رحمه الله: (قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة[4]، لهذا كانت تنمية الروح المعنوية أحد المحركات والبواعث التي تدفع الشخص للقيام بسلوك حسن لسد خلل أو نقص أو لتحقيق كمال، مادية أو معنوية، مثل: الحسنات، البركات، التوفيق، الجنات، الرضوان، انشراح الصدر وغيرها.. وبدفع مضار مختلفة

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/١٠٠.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي، ٢/١٧١-١٧٢.

(٣) انظر: التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور)، لابن عاشور، ١٤/٣٧٣.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/٨٩.

عنـه مادية ومعنوية مثل: السيئـات، والعذاب، الخسران، وضيق الصـدر[1]، فهي معززات تنموية وسلوكية لدى النفس الإنسانية التي جُبلت على حب تحصيل المنافع لها ودفع المضار عنها.

د) توجيه الدوافع وترقيتها وتحويلها لما فيه الخير:

لقـد ذخر القرآن الكريم بأساليـب توجيه الدوافع المعنوية لتحويلهـا للوجهة السليمة التي شرعهـا الله للعبـاد، لاستثمار طاقات وشحنات التنمية الذاتية وتوظيفهـا فيما فيه الخير والنفع، وانتهـج القرآن الكريم عدة طرائق للتوجيه والتحويل في تهذيـب النفس وتنمية كثير من الدوافع، ففي التنافس، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيم، عَلَى الْأَرَائِك يَنْظُرُونَ، تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيم، يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيق مَخْتُوم، خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ المطففين ٢٢-٢٦، وترقيـة الدوافـع أحد طرائق التنمية المعنويـة لأنها: (تحويل التطلـع الإنساني عن الصغائر والدنايـا وتوجيهـه لمعالي الأمـور.. لما فيه كمال ورفعـة بين الناس وكمال ورفعـة عند الله)[2]، وإعـلاء للنفـس عن مقاصدها الآنية إلى مقاصد أسمى وبعيدة الأجـلّ، لتحقق لصاحبها السعادة والاطمئنـان، ومـن ذلك قول الله تعالى لرسولـه ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَـا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُـمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ طه ١٣١، قال السعدي (١٣٧٦هـ) رحمه الله: (وفي هذه الآية، إشارة إلى أن العبد إذا رأى من نفسه طموحا إلى زينة الدنيا، وإقبالا عليها، أن يذكرها ما أمامها من رزق ربه، وأن يوازن بين هذا وهذا[3].

هـ) التنموية المعنوية بالإقناع الفكري والتبصير للمآلات:

فلقد لفت القرآن في تهذيب الدوافع إلى سعي الشيطان لتحفيز العدوان عند الإنسان، وإيقاع الكراهيـة بين الناس بوسائل شتى فأشار إليها بقوله تعالـى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَـدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْـرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّـلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ المائدة ٩١.

والتبصير بالمآل أحد الطرائق المؤثرة في التنمية المعنوية، فبث المعرفة لإدراك الفضائل والرذائـل، ومعرفـة آثارها المحمـودة والمذمومة، وثمراتهـا العاجلة والآجلة، مـن شأنه أن يولد حافـزًا ذاتيًا يشجع النفس على كبح جمـاح النفس، وتوجيهها نحو غايات نبيلة وعظيمة، وقد عني القرآن الكريم بالإقناع الفكري عناية كبيرة، وأفرد لها طرائق ووسائل وأساليب متنوعة كالموعظة الحسنـة والجـدال بالتي هي أحسن والحوار، وهـي من الطرائق التي سلكهـا رسولنا الكريم ﷺ لتنميـة الـوازع الداخلي، وتهذيـب الأخلاق والسلوك، ومنهـا القصة المشهـورة للشاب الذي جاء يستـأذن النبـي ﷺ في الزنا، فاستخدم معه الحوار، ليبين لـه الجوانب التي قد غفل عنها؛ حيث

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية وتطبيقاتها، لعدنان خطاطبة، ص ٢٣٠.

(٢) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن حبنكة الميداني، ٢/٢٠٠.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (تفسير السعدي)، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص ٣٢١.

أشعـره بالأمان أولاً، فقال لـه: (ادْنُه)، ثم قال: (أتحبه لأمـك؟) .... (أفتحبه لابنتك؟) .... ثم فوضـع يـده عليه، وقال: (اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبـه، وحصن فرجه) قال: (فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء) الحديث[1].

الخاتمة:

إن التنميـة تقـوم على اعتبار الإنسـان محور كل عمل تنموي، ومعرفـة ذاته؛ ومعرفة حدوده وممكناتـه، وتنمية مهاراته الذاتية، وإرسـاء مقوماتها على الخُلُق، والإبـداع، والحرية، ومقومات الكرامـة الإنسانيـة، وأن النظرة القرآنية للتنميـة أساسها من منظور استخـلاف، وفق توجيهات القـرآن الكريم الـذي أكد على الجمع بين التنميـة بشقيها المادي والمعنـوي، وهو ما يتفق مع ما توصـل إليـه العقل البشري من تعريـف ويزيد عليه، بتنميـة الإنسان من الجانـب الروحي، ولهذا نـوّع الإسلام فـي طرائق وأساليب تعزيز التنمية المعنوية، مراعيًـا أصناف الناس، وخصائصهم النفسية والفكرية.

ومن نتائج البحث:

أن الإسلام في منهجه وتشريعاته حث على التنمية؛ وهيئ قواعدها، وسنّ أسسها التشريعية، ونهى عن المعوقات التي تحول دونها.

إن التنميـة المعنوية منهج ربَّانـي، أشارت إليه العديد من آيات القـرآن، مفادها رفع الروح المعنوية والحث على بذل الخير والعمل، وتحذيرهم مِنَ الشرِّ والفشل

أن التنمية الشاملة في الإسلام منظومة متكاملة مترابطة، تشمل التنمية المادية والمعنوية..

أن التنميـة المعنويـة فـي القرآن الكريـم، تحقق مفهوم التّنميـة الشّاملـة؛ بشقيها المادي والمعنوي.

إن غايـات التنمية فـي المنظور القرآني تتجه نحو تحقيق العبـادة للّه وحده، بتعمير الأرض بمنهجه وتحقيق الحياة الطيبة للإنسان.

أن التنمية المعنوية للنفوس أساس ينبني عليه كل أنواع التنمية.

أنَّ التنميـة فـي ضوء القـرآن الكريم جـزء لا يتجزأ مـن العقيدة، تحكمهـا منظومة القيم الحضاريـة، لتشمـل تنميـة الإنسان في ذاتـه روحاً وفكـراً، بالإضافة إلى تنميـة البيئة الخارجية المحيطة به في مختلف نواحي الحياة.

أن التنميـة المعنويـة في ضـوء القرآن أحد أبـرز أوجه الدعم الرئيسـة لتحقيق المزيد من الإنتاجيـة وتحقيق جـودة الحياة، وتعزيز الثقـة بالنفس والإيمان بالقدرة علـى تحقيق الأهداف،

(١) مسند الإمام أحمد، ٥٤٥/٣٦ برقم ٢٢٢١١، وقال المحقق: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح، وأخرجه والطبراني في الكبير برقم ٧٦٧٩. من طريق أبي اليمان الحكم بن نافع، عن حريز بن عثمان، بهذا الإسناد.

وتعزيـز الشعـور بالرضا، وإنجاز المهام، كأحد أهم العوامـل الداخلية الأكثر فعالية بالمقارنة مع الدوافع الخارجية كالمكافآت المادية والعقوبات، التي غالبًا ما تكون مؤقتة يتلاشى أثرها سريعاً.

إن ممـا تفرّدت به النظـرة القرآنية للتنميـة المعنوية أنها تراعي طبيعـة الإنسان البشرية، وتؤكد سموها، ولا تكبت شيئًا من نوازعها الفطرية، وفي نفس الوقت لا تطلق العنان لذاتها.

تنوع القرآن الكريم في بيان طرائق وأساليب تعزيز التنمية المعنوية، مراعيًا أصناف الناس، وخصائصهم النفسية والفكرية.

المراجع:

أبعـاد التنميـة المستدامة في المنظور القرآنـي، فطيمة سبقاق، الألوكـة، https://www.alukah.net/culture/3/2018م.

إحيـاء علوم الديـن، أبو حامد محمد الطوسي، الغزالي، ط١، إحيـاء التراث، ودار قتيبة، بيروت، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

الأخـلاق الإسلاميـة وأسسها، حبنكـة الميداني، عبـد الرحمن حسـن، دار القلم، دمشق، سوريا، ط٤، ١٤١٧ه.

إدارة الجودة الشاملة، محمـد عبد الوهاب العزاوي، عمان (الأردن)، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م

أسس علم النفس التربوي، لمحيي الدين توق، وعبد الرحمن عدس، محي الدين توق، يوسف قطامي، عبد الرحمن عدس; دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ،

أصول التربية الإسلامية وتطبيقاتها، عدنان مصطفى خطاطبة، دار النفائس للنشر عمان، ٢٠١٨م.

أضـواء البيـان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بـن محمد المختار بن عبد القادر الجكنـي الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيـروت، لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

بدايـة المجتهد، ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (ت ٥٩٥هـ)، دار الحديث، القاهرة، د. ط، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

بدائـع الصنائع، علاء الدين أبـو بكر بن مسعود بن أحمد الكاسانـي الحنفي (ت ٥٨٧هـ)، الناشر دار الكتب العلمية الطبعة الثانية ١٤٠٦ه ١٩٨٦م.

تـاج العروس من جواهـر القاموس، السيـد محمد مرتضـى الحسيني، الزبيـدي، تحقيق: إبراهيم الترزي، ط١، التراث العربي، الكويت، ١٤٢١هـ،٢٠٠٠م.

التحريـر والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»،

محمـد الطاهر بن محمد بـن محمد الطاهر بن عاشـور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الـدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ه..

التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة، الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

تفسيـر السعـدي، تيسيـر الكريم الرحمـن في تفسيـر كلام المنـان، ط. دار السلام، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٢، ٢٠٠٢م.

تفسيـر الطبـري، جامع البيان عن تأويـل آي القرآن، محمد بن جريـر الطبري، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

تفسيـر القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثـم الدمشقـي (ت ٧٧٤هـ) المحقـق: محمد حسين شمـس الدين، دار الكتـب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط١/، ١٤١٩هـ.

التلقين، عبد الوهاب، أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي (ت ٤٢٢ه)، المحقق: أبو أويس محمد بو خبزة الحسني التطواني، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

التنميـة البشرية في القرآن الكريم، دراسة موضوعية، طلال فائق الكمالي، جامعة الكوفة، دار المحجة البيضاء لبنان، ٢٠١٤م.

التنمية في الإسلام، مفاهيم مناهج وتطبيقات، إبراهيم العسل، مكتبة زاد، لبنان، ٢٠٠٩م.

التنميـة مـن منظـور إسلامي، فتح الرحمـن عبد الله الصافـي، جامعة إفريقيـا العالمية، ٢٠١١م.

تهذيب اللغـة، للأزهري، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهـروي (ت٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١/ ٢٠٠١م.

التوجيـه والإرشـاد النفسي مـن القرآن الكريم والسنـة النبوية، لمسفـر الزهراني، جامعة ميتشيغان، م. س. م. الزهراني، ٢٠٠٠م.

التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علـي بن زيـن العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت١٠٣١هـ(، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ.

حاشية الصاوي، بلغة السالك لأقرب المسالك، أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي (ت ١٢٤١هـ)، دار المعارف، د.ت.

الحـرب النّفسيّـة ضدّ الإسلام، عبد الوهاب كحيل، عالم الكتـب للطباعة والنشر والتوزيع،

١٩٩٨م.

حوار الحضارات، روجيه غارودي، ترجمة عادل العوا، مكتبة طريق العلم، عويدات، ٢٠١٥م.

الدافعية النفسية في العقيدة الإسلامية، لمروان القيسي، مجلة جامعة الملك سعود، م١٠، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، ١٩٩٨م.

دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، لمحمد عز الدين توفيق، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٧م.

دليلك الشخصي إلى السعادة والنجاح، إبراهيم القعيد، دار المعرفة للتنمية البشرية، ١٤٢٣ه.

دوافع السلوك في سويتها وانحرافها، لأحمد أبو شنب، مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق، العدد ٥٢، ٢٠١٠م.

روضة الطالبين وعمدة المفتين، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، (ت.٦٧٦هـ)، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٩١م.

زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

شرح الزرقاني، على مختصر سيدي الخليل، عبد الباقي الزرقاني المصري، محمد بن مسعود البناني، ضبطه وصححه: عبد السلام محمد أمين، المكتبة العلمية، لبنان، د. ط. د.ت.

الشرح الصغير للدردير، أحمد بن محمد الصاوي المالكي الدرديري، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٢هـ.

فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١/ ١٤١٤هـ.

الفروق في اللغة، لأبي هلال العسكري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣م.

الفلاكة والمفلوكون، أحمد بن علي بن عبد الله، شهاب الدين الدّلَجي المصري (ت ٨٣٨هـ)، مطبعة الشعب، مصر ١٣٢٢هـ.

الفوائد، ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.

لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١ه). ط ١. بيروت، دار صادر، ١٩٧٨م.

لمحات نفسية في القرآن، لعبد الحميد الهاشمي، مكة المكرمة، مجلة دعوة الحق العدد ١١، ١٤٠٢هـ،

المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ) المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية عام ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ومعهد المخطوطات العربية عام ١٤٢٤هـ.

المشاكل الهيكلية للتنمية، محمود ولد سيدي محمد • منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥م.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي، تحقيق عبد العظيم الشناوي، المكتبة العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠١٠م.

مطالب أولي النهى، في شرح غاية المنتهى، مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة، الرحيباني مولدا ثم الدمشقي الحنبلي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

المطلع على ألفاظ المقنع، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين (ت ٧٠٩هـ)، المحقق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي للتوزيع، ط١/، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

المعالم الأساسية للرسالة الإسلامية، سلسلة مفاهيم إسلامية رقم ٦، دار التوحيد، الكويت، ١٩٧٩م.

معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، نزيد حماد، دار القلم، الدار الشامية، ١٤٢٩هـ.

معجم المؤلفين، محمد رضا كحالة،) ط. الرسالة) مفهرس على العناوين الرئيسية، مؤسسة الرسالة ،١٤١٤هـ.

المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرون، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م.

معجم لغة الفقهاء، قلعجي، محمد رواس، وحامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م .

معجم مقاييس اللغة، الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني

(ت ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

مفهوم التزكية وتطبيقاتها في التربية الإسلامية، نايف الشريف، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات، ١٩٩٩م.

المقدمات الممهدات، ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي، (ت.٥٢٠هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

المقدمة، ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، تحقيق: درويش الجويدي، بيروت، المكتبة العصرية صيدا، ٢٠١٢م.

منهج الإسلام في تزكية النفس، د. أحمد كرزون، دار النشر دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٧م.

نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي، شمس الدين محمد بن أبي العباس الرملي، دار الفكر: بيروت، ط الأخيرة، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.